علم الاخلاق

(١)

تمهيد

(١) نرى كثيرا من الناس على اختلاف نزعاتهم وتباين حرفهم وأعمالهم يحكمون على بعض الاعمال بانه خير أو شر أو يحكمون عليه بانه حق أو باطل فبأى المقاييس قيس هذا فحكم عليه بأنه خير أو أنه شر أو حق أو باطل ؟

(٢) كذلك نرى الناس تختلف غاياتهم فيما يطلبون من عمل فبعضهم يطلب السلطة والجاه وآخر يطلب الذكر الحسن وثالث يطلب حيازة الثروة وجمع المال، ولكن للنظرة الاولى نعلم ان كل شيء من هذا ليس غاية الغايات

ألا تراك لو سألت طالب الجاه أو طالب المال لماذا أنت متهالك فى الحصول على ماتريد لأبدى لك من العلل والاسباب غاية أخرى كأن يقول إنى أريد السعادة أو أريد الحصول على مافيه الخير جهد المستطاع

مما تقدم تعلم أننا فى حاجة الى أن نعرف المقياس الذى نقيس به الخير والشر ونتفهم الغاية التى يجب أن تكون نصب العامل عند مايقدم على عمل من الاعمال

والعلم الذى يرشدنا الى ذلك هو علم الاخلاق فهو اذا علم يبين لنا معنى الخير والشر ويشرح لنا ما يجب أن تكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضا والغاية التى ينبغى أن تكون رائد العاملين فى أعمالهم ويبين لهم الطريق الموصل الى تلك الغاية

مباحث علم الاخلاق

افعال الانسان

الافعال التى تصدر من الانسان قسمان :

(١) أفعال اضطرارية أو غير ادارية كخفقان القلب ورمش العين عند الانتقال فجاءة من الظلمة الى النور وصفرة الوجه عند الخوف والاضطراب

(٢) أفعال ارادية تصدر منه بعد الروية وإنعام النظر والتفكير فى المقدمات وما توصل اليه من النتائج كمن يعزم

على بناء مستشفى فى بلده ليخفف وطأة الامراض الفتاكة ويقلل الوفيات فى بنى جلدته . وكمن يدبر طريقة للفتك بعدوه ويتخذ العدة ويهيئ الاسباب والوسائل التى تنيله بغيته .

يفعل كل هذا وهو هادئ البال قارن النتائج بمقدماتها،

والنوع الاول من تلك الافعال لا يدخل فى دراسة علم الاخلاق اذ لا يحكم على فاعله بأنه خيّر ولا شرير كما لا يحاسبه الدين على مايصدر منه من هذا النوع

أما النوع الثانى فهو الذى يبحث عنه هذا العلم ويجازى فاعله على مافعل ان خيرا وان شرا

وقصارى القول أن موضوع علم الاخلاق هو الاعمال التي تصدر من العامل عن اختيار وعمد وهذه هى التى يحكم عليها بأنها خير أو شر

ماذا نستفيد من دراسة علم الاخلاق

(١) ليس فى مقدور علم الاخلاق أن يجعل الناس كلهم أخيارا أطهارا زهادا نساكا بل الذى فى استطاعته أن يرشدك

الى الخير ويبين لك فجاجه وأنحاءه ويفتح لك مرآة النظر لترى آثاره . فما مثله الا مثل الطبيب الذي يخبر المريض بضرر المسكر ويشرح له تأثيره وأضراره فى العقل والجسم وليس في طوقه أن يمنع المريض من الشرب فهو إن شاء شرب وألقى كلام الطبيب وراءه ظهريا . وان شاء اتبع نصائحه وقنع بما يترتب على ذلك من الآثار

(٢) انه قد يكون من الميسور أحيانا لمن لم يدرس علم الاخلاق أن يحكم حكما صادقا علي بعض الاشياء بأنها خير أو شر . كما يمكن أن يكون صالحا حسن الاخلاق

لكن الفرق بين شخصين أحدهما درس هذا العلم وآخر لم يدرسه كالفرق بين رجلين احدهما خبير برياضة الخيل حاذق بفطرتها عالم بالدقيق والجليل من محاسنها وعيوبها والآخر لا يعرف الا شياتها وظاهر محاسنها فاذا أراد كلاهما أن يشترى حصانا فكلٌّ يرى وينظر ماينظره الآخر وكل يمتحن ويلمس، ولكن شتان مابين النظرين فتجارب الاول ومعارفه تجعله أصدق حكما وأسد رأيا فيما يحكم وهكذا الشأن

فى علم الاخلاق فان دارسه أقدر على تمحيص الاعمال ونقدها وتقديرها حق قدرها دون أن يخضع فى حكمه الى إلف أو عادة أو يتأثر بحكم البيئة والمكان

(٣) ليس المقصد من دراسة علم الاخلاق أن نستظهر نظرياته ونستذكر قواعده بل الغرض الاسمى منه أن نحمل أنفسنا على سلوك الطريق القويم ونحصّل خيرنا وكمالنا فهو المشجع للارادة على عمل الخير وسلوك السنن القويم والشاد أزر العزيمة على المضى قدما فى الولوع بالفضيلة واتخاذها نبراسا فى كل الاعمال ولكنه ليس بدائم النجاح فى كثير من الاحيان لانه انما ينبت غرسا حسنا اذا وجد أرضا خصبة مستعدة للانبات . فهو اذا لم يجد نفسا مستعدة بالفطرة لسلوك طريق الخير لن يثمر الثمرة المقصودة

(٢)

الخلق واسطه تهذيبيه

الخلق هو تغلب ميل من الميول على الانسان باستمرار فالكريم المسماح هو الذى يتغلب عليه الميل الى البذل